

مَعَ عُرُوجِ أَرِيْبٍ - حَوْشُنَا الصَّغِيرُ

"مِنْ كَرَمِ الْمَرْءِ بُكَائُهُ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ، وَحَنِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَحِفْظُهُ قَدِيمَ إِخْوَانِهِ" هَذَا سَلْطَ الصَّوْءِ أَمِيرُ الْبَيْتَانِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْكَرَامِ، وَمَنْ سِوَاهُ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُبْصِرَ الدُّرَرَ وَيُرْشِدَ إِلَيْهَا بِسِحْرِ بَلَاغَةٍ عَلَى خُطَى جَوَامِعِ الْكَلِمِ الْمُحَمَّديِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ السَّلَامُ. وَمِنْ عَلَى هَذَا الْمُدَرِّجِ الْمُقَدَّسِ نَرْتَقِي جَنَاحَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مَعَ أَدِيبِنَا الْأَرِيْبِ الْفَاضِلِ وَهُوَ يَنْثُرُ دُمُوعَ الشَّوْقِ الْبَيَّاكِي عَلَى "مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ، وَحَنِينِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَحِفْظِهِ قَدِيمَ إِخْوَانِهِ" بِحَدِيثِهِ عَنِ الْحَوْشِ الَّذِي تَرَعَّرَعَ فِيهِ، تِلْكَ الْبُقْعَةُ الْكَائِنَةُ بِجَوَارِ قَبْرِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ وَبِضَعْتِهِ الطَّاهِرَةِ وَسِبْطِهِ الْمُجْتَنِبِ وَسَجَّادِهِ وَبَاقِرِهِ وَجَعْفَرِهِ وَالْأَقْمَارِ الدَّائِرَةِ فِي فَلَاكِ بِقِيَعِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، ذَلِكَ الْمَكَانُ الَّذِي "هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ بَادِعٍ أَوْ مَسَاحَةٍ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي تَحُوطُهَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْبُيُوتِ الْمُسْتَدِيرَةِ الْمُتَرَاصَّةِ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ عَلَى شَكْلِ حَلِيقَةِ دَائِرِيَّةٍ يَقَعُ الْحَوْشُ فِي مُنْتَصَفِهَا". فَهَيَّا بِنَا نُوَاصِلُ مَا ابْتَدَأْنَاهُ مِنْ سَرَبِ عُرُوجِ لِنَعْرُجَ مَعَهُ هُنَا وَهُوَ يَقُولُ دَامَ عَطَاؤُهُ

(١):-

فِي حَوْشُنَا ذَاكَ الصَّغِيرِ

قَضَيْتُ أَجْمَلَ ذِكْرِيَاتِي

كَانَتْ حَيَاتِي كَالرَّبِيعِ

وَلَيْسَ أَرْوَعَ مِنْ حَيَاتِي

تِلْكَ الطُّفُولَةُ لَمْ تَزَلْ

عِطْرًا يَفُوحُ بِأُمْنِيَّاتِي

الزَّاهِيَّاتِ مِنَ الطُّيُوفِ

تَمْجُوحُ بِي فِي الزَّاهِيَّاتِ

وَهُنَاكَ كُنْتُ عَلَي الصَّدى

أَخْتَالُ فِي السَّيِّئَاتِ الْجِهَاتِ

أَلْهُو كَمَا يَلْهُو الْفَرَّاشُ

عَلَى الشَّمْسِ مَوْعِ الْوُشْعَلَاتِ

فِي حَوْشِنَا ذَاكَ الصَّغِيرِ

رَسَمْتُ بِأَلْوَاحِ الْلامِ ذَاتِي

كُلُّهُ الْوَرَقَةُ مَعْبَرُ

نَحْوِ الْوَلَمَانِي الْوَاعِدَاتِ

سَحَرًا أُحَدِّقُ فِي النَّجُومِ

الْعَابِرَاتِ إِلَى الشَّتَاتِ

لَا شَيْءَ غَيْرُ اللَّهْوِ

يَعْنِيَنِي وَدُنِّيَا الْمُؤَلَّهِيَاتِ

لَا شَيْءَ غَيْرُ دُنَا الصَّبَا

أَهْوَاهُ مِنْ مَاضٍ وَآتٍ

دُنِّيَايَ فَرَحَةٌ قَادِمٌ

عَبْرَ الدُّرُوبِ الْمُتَعَبَاتِ

دُنِّيَايَ ضِحْكَةٌ عَابِثٌ

بَيْنَ الْحُقُولِ الْيَنَابِغَاتِ

دُنِّيَايَ بَسْمَةٌ عَاشِقٍ

لِلْمُتَرَفَاتِ الْوَعَانِيَاتِ

دُنِّيَايَ نَشْوَةٌ عَارِفٍ

غَنَّى بِأَلْحَانِ الْحُذَاةِ

دُنِّيَايَ لَهْفَةٌ طَامِئٍ

لِلنَّبْعِ يَرْكُضُ فِي الْفَلَاةِ

دُنِّيَايَ جَذْبَةٌ عَارِفٍ

نَشْوَانُ مِنْ خَمْرِ الصَّلَاةِ

هِيَ خَشَعَةُ الصَّوْفِيِّ .

أَثَرُ عَزْلَةٍ فِي الصَّوْمِ مَعَاتٍ .

أُمِّي ..

أُمِّي .. وَأَرْكَعُ خَاشِعًا

أَتَلُّوْا نَشِيدَ الْأُمِّهِاتِ .

كَانَ الْبَرِّيقُ بِعَيْنَيْهَا

حُلُمِي إِلَى بَرٍّ النَّجَاةِ .

كَانَتْ تَعَوِّذُنِي إِذَا

جَنَّ الدُّجَى بِالْبَيْسَمَلَاتِ .

أَغْفُو وَأَسْمَعُهَا تُتَمِّتُ

يَا لِحُلُومِ النَّمْنِمَاتِ .

أُمِّي أَرْامُ وَعَيْنُهَا

مِلَاءُ الْجُفُونِ الْمُرْهَقَاتِ .

أَبِي ..

وَأَبِي .. سَلَامٌ لِلصَّامِرِ الْحَيِّ .

فِي زَمَنِ الْمَمَاتِ

لِلْقَلْبِ أَصْفَى رِفْءٍ

مِنْ سَلَسَلِ فِي صَفَاةِ

مِنْ نَسْمَةِ الْفَجْرِ الْلَازِيقِ

إِذَا سَرَتْ فِي الْكَائِنَاتِ

الْجِيرَانُ :

كَانُوا هُمْ اللَّحْنِ الْجَمِيلِ

صَدَّى تَرَدَّدَ فِي لَهَاتِي

كَانُوا هُمْ السَّرِّ الْمَوْقِعِ

فِي رُمُوزِ الْوَحْيَاتِ

كُنَّا مَعًا لَا شَيْءَ يَجْمَعُنَا

سِوَى حُبِّ الْحَيَاةِ

نَتَبَادَلُ الْحُبَّ الطَّهَّورَ

بَيْنَ كَهْفَةِ الْخَلِّ الْمَوْاتِي

نَتَقَاسَمُ الْبِلَوى إِذَا هَبَّتْ

رِيَّاحُ الْعَصَافَاتِ

نَتَقَّاسَمُ الْبِرْدَ الْمُبَرِّحَ

فِي اللَّيَالِي الشَّاتِيَاتِ

نَغْفُو عَلَى الْعَيْشِ الزَّهِيدِ

وَنَسْتَفِيقُ عَلَى الْفُتَاتِ

اللَّيْلُ يَهْمِسُ فِي

أَغَانِينَا بِأَحْوَلامِ الْعُفَاةِ

وَالْفَجْرُ ذَاكَ الْفَجْرُ لَا شَيْءَ

سِوَى فَرَحِ الْعُفَاةِ

كَمْ رَفَّ فِي أَحْوَلامِنَا

طَيْفُ السَّيِّئِينَ الْآنِيَاتِ

كَمْ شَبَّ فِي آمَالِنَا

شَوْقُ الْعُيُونِ الْحَالِمَاتِ

كَمْ رَقَّ فِي أَسْمَاعِنَا

زَجَلُ الطُّيُورِ السَّاجِعَاتِ

تَحْنُو الذُّفُوسُ الطَّيِّبَاتُ

عَلَى الذُّفُوسِ الطَّيِّبَاتِ

.....

كَمْ رَدَّ دَتٌ فِي الْحَيِّ

جَارَتُنَا أَشِيدَ الرُّعَاةِ

كَمْ نَثَّرَتٌ فِي عُرْسِهَآ

فَرَحًا زُهُورَ الزَّغَرَدَاتِ

إِنَّ أَطْلَاقَتٌ فِي الْحَيِّ جَارَتُنَا

صُرَاخَ الثَّآكِلَاتِ

الْكُلُّ يَهْرَعُ سَاكِبًا

سَيْلَ الْجُفُونِ الدَّامِعَاتِ

نَبْكِ لِمَصْرُوحَتِهَا

بُكَاءَ الْوَالِيهِينَ عَلَى الرُّفَاتِ

نُصْغِي لِأَنْتِهَا إِذَا

أَنْتِ أَنْيْنَ الْفَقَائَاتِ

كَمْ مَصْفًى قَدْ دَسَّ بِكَ الطَّمُوحُ

إِلَى الشُّمُوسِ الطَّلَعَاتِ

لِلدُّفْعِ فِي بَرْدِ الشَّتَاءِ

إِذَا انْقَضَى لَيْلُ السُّبَاتِ

كَمْ غَرَّدَ الْعُصْفُورُ مُبْتَهِجًا

بِأَنْسَامِ الْغَدَاةِ

كَمْ نَامَ قِطٌّ الْحَيِّ

بَيْنَ فِرَاشِنَا لَيْلَ الْبَيَاتِ

كَمْ فَأْرَةٌ رَقَصَتْ عَلَيَّ

أَشْيَانِنَا رَقْصَ الطُّغَاةِ

فِي كُلِّ فَلَبٍ خَفِيفَةٍ

فِي الْحَيِّ تَنْبِيضُ رِيَالِ حَيَاةِ

الْحَوْشُ مَمْلُوكَةٌ لَنَا

وَالْحَيُّ حَمْنُ الْمُحْمَنَاتِ

الْحَوْشُ يَجْرِي فِي دِمَاءِ

السَّكَرِينَ إِلَى الْمَمَاتِ

الْحَوْشُ نَكَهَتْهُنَا إِذَا

اشْتَقْنَا إِلَى طَعْمِ الْحَيَاةِ